عقل حائر ثائر

لم تقلقني يوما دقات القلب المضطرب... بل ما يرهقني ضجيج العقل الحائر وثورة براكين الفكر المتفجرة في هذه الروح ... عشت بأرض شاسعة يتردد بها صدى ضجيج العقل .. إنها أرض الأفكار المتصارعة... خمسة وعشرين عاما وأنا أعيش على هذه الحالة ... منذ أن كان عمري ست سنوات ...

يوقظني في منتصف الليل على ذبذبات كأنها لمسات كهربائية ، تتسلل لجسدي . ثم يبدأ الضجيج... استمع لهمسات الكون ...من بشر وكائنات ... أظن أن هناك من ينصت إلى راديو أو يشاهد تلفازا، وأهم بالنداء ولكن لا يخرج لي صوت ... اكتشف أنه هذا العقل الصاخب ... أحاول ان اعود للنوم ولكنه يأبى أن يستجيب، فهذا أنين روح باكية، وهذا كائن يسبح وتلك شجرة تترنم، وهذا طفل، وهذا ، وهذا.. من أين تتسلل لعقلي كيف تخترق حواجزي ... لا اعلم ، لا يخرجني من كل هذا إلا آذان الفجر ... وصوت خف على الأرض يسير بهدوء وصوت الصنبور إنها

أمي تتوضأ ... وهذا صوت ابي يتوضأ أيضا ... ها هو الباب قد أغلق بهدوء نعم ينزل للمسجد ... وها هي أمي تصلي وتدعو ... وبرغم الهمس أسمع صوت دعائها بوضوح ... انه الصوت الواقعي الوحيد الذي اسمعه الصوت الذي يعيدني للحياة ويجعل يومي مشرقا بالأمل ...

الآن ستأتي الى حجرتي وتفتح الباب بهدوء، تنظر لي ولتطمئن إنى نائم ... أغمض عيني واتنفس بانتظام حتى لا تشعر بي .. وتكتشف أن النوم قد فارقني فتجلس بجانبي وهي مرهقة..

تصلح حولي الغطاء ثم تخرج وتغلق الباب .. كأنما خروج أمي يعيد تلك العوالم لي مرة أخرى ... فجأة يهدأ هذا الضجيج الذي لا ينقطع كأنما أصبح عقلي مسكنا لكل أفكار البشر ... أرجوه الهدوء ثم استسلم وأغمض عيني مع شروق الشمس ويأخذني النوم حثيثا فأدخل في غيبوبة بلا شعور حتى توقظني أمي للذهاب للعمل ..

كأنما يأبى عقلي أن ينام إلا بعد أن يستيقظ الناس فهو يسمع العقول حينما يغفو البشر... اليوم لا عمل ولا لقاء مع

الأصدقاء متفرغ تماما وهذا ما يزعجنني ... فتلك اللقاءات هي منقذي من حرب مستعرة في عقل مضطرب..

لا أنسى حين أخبرت الطبيب عن حالتي قال اذهب لدكتور أمراض نفسيه ... أستيقظ على لمسة يد حنون هيا ميعاد دواءك .. أفق، فقد أعددت لك إفطارا ستحبه ، إتبعني سريعا فالساعة الحادية عشر اليوم أجازتك ولا داعي للكسل

أمي دعيني، أحتاج للنوم قليلا ...

- أعلم إنك كنت مستيقظا حين دخلت بعد صلاة الفجر..

- كيف شعرتي بي؟ ...

ابتسمت بهدوء وقبلت رأسي ... تحرك وتعال إلى المطبخ ، حاولت النهوض ، ما هذا ؟! .. أشعر بدوار خفيف ... اتكأت على الوسادة وأخذت نفسا عميقا وأغمضت عيني ..

وفجأة سمعت زمجرة وضجيجا انتفضت فلم أجد أحد، لا لابد أنه أصابني الجنون..

هل أصبح الضجيج نهارا أيضا؟

ذهبت متكاسلا وتحركت بخمول وصلت فوجدت أمي تعد لي فطائرا مقلاة ، محلاة بالعسل الابيض .. مددت يدي لآكل فقد كنت جائعا ...

وفجأة شعرت بشيء ساخن يلمس وجهي فتحت عيني ووجدت نفسي في المشفى فقد سقطت مغمى علي ... إنها نفس الحالة النفسية أو البدنية لا أعرف ... قالوا صرع ولا علاج ...

وكانت تجلس بجانبي وتمسك بيدي وتقول لقد حاولت ولكنك لم تستجب فطلبت الإسعاف..

أغمضت عيني مطمئنا إنها بجانبي تحرسني كلما أمسك يدها يختفي الضجيج ...

هناك من يوقظه.. إستيقظ هل مازالت نائما؟

لا لست نائما أنا مستيقظ ولكنى آخذ قسطا من الراحة.. أمي ... رجاء أريد كوبا من الشاي باللبن ... وصوت يناديني ... أين أمك؟ رحمها الله يا بنى أما زلت تعيش تلك الحالة من الهلوسة منذ وفاة أمك من عشر سنوات وأنت تستيقظ على هذه الحال ... تحركت بكسل ... متى يتوقف

العقل عن تلك الرحلة المجنونة إلى عالم من اللامعقول ... متى سيقتنعون أن أمي قد تركت روحها معي ... كم أفتقد فطائر أمي المحلاة وحديثها الأكثر حلاوة ... فمنذ كنت طفلا لم تنهرني ، او تتهمني بالجنون ... دائما كنت أقص عليها رحلات عقلي أثناء الليل ، كانت تسمعني وتصدقني ، لم تتهمني يوما بالجنون والهلوسة ... وقد وعدتني ان تظل بجانبي إلى آخر أيام حياتي

وكانت تقول لي إن مرضي لن يكون عائقا لي في الحياة ... دقائق وسأستعد للخروج يا أبى ... وابتسمت ها هي روح أمي تسير بجانبي ...